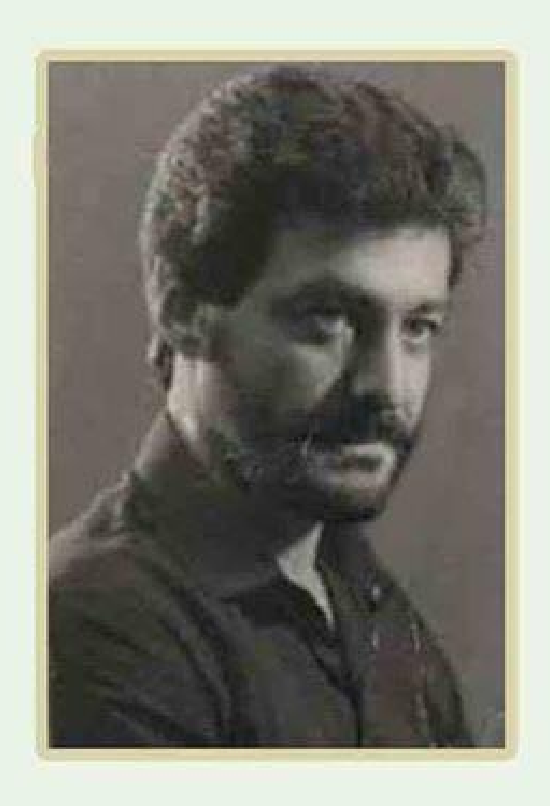
عقيل علي

طائرٌ آخر يتوارى



منشورات الشتات

شعر

عقيل علي

طائرٌ آخرُ يتوارى

شعر

منشورات «الشتات»



ولدَ عقيل علي في « الناصريّة» (العراق) في ١٩٤٩، ومنذ سنّ مبكّرة وهو يوزّع وقته بين الكتابة الشعريّة والأعمال اليدويّة. صدرت له مجموعة شعريّة عن منشورات « توبقال» بعنوان « جنائن آدم»، ولديه العديد من المخطوطات الشعريّة والرسوم بالحبر.

كُتبت قصائد هذه المجموعة في الفترة بين ١٩٧٤ و١٩٧٦.

يصدر هذا الكتاب في طبعة محدودة عن «منشورات الشتات» في باريس ، تليها طبعة واسعة في قبرص.

مدن

مدنٌ مفتوحةٌ في المجد.
مدنٌ تشحذُ الغضب.
معظم الصيفِ ساحلٌ لسواي
يا قصيدةَ العائلة أغتسلُ بالأخ
من أجل فم ينطق بالهاوية
من أجل صباحِ القشعريرة وهو يتسولُ بيتَه...
تلك السماءُ المضيئة مسُّها الأصيل

هكذا، كُل بابٍ الى القصيدة
شعبٌ من الموتى يفتقدونَ الفتنةَ بهديرٍ قارب
هكذا أجّرك الى سطوحنا دائما
جناحينِ لرمادِ وردتك
بروق الصحراء أمام الأقراط
أعراس السنة أمامَ طائرٍ أصفر

حتى يحين

الوقتُ الذي اختفى.

احلام

. أسمعُ معَكَ :

الحربَ هي الأخرى تضليلٌ لطيران الأطفال

فأتذكر :

... وهذا دائماً . . .

حُرية َ أن نختار

" أتذكر ألعاب أبي تتراشقُ فيها الأبواب" .

لم يكنْ ذلك الفضاء َ صباحاً دائماً

كان علينا أن نرتفع بعمق

فهذه ليستِ الشمس كلّها .

كلّ يوم

لا أدّعي

أن تكون غيرَ أنت.

لأجل نسيانِك :

بوسعي أن أكتبَ الشعر

بوسعي،

أن أتأملَ ارتفاع طائر السّدى عمودياً . . .

والأمل بأن تعود

هل تعود ؟

هكذا . .

هكذا . .

كلّ يوم؟

جسدٌ ينطقُ بأطرافه

إنني جَسَدٌ ينطق بأطرافه،
من أجل الشجاعة اقتنيتُ أزهار من أُحبّ.
إنني أقف وأغنّي دمَ هذا الفم الشائع. . .
خَفوتَ الأعماق أمام الدقات البكر لأصابعِك
أريدك بسببِ الطفلِ الذي يعكسُ التفاتَتَهُ في المرآة
أريدك
لهذا الشغف الذي لا يكَلّ
لما عشناه
وما نترقّبه
أريدك
بسَبَبِ هذا اليمّ الذي يبتلعُ كل شيء
ولست بناجٍ منه أنا.

أيتها الأبواب

أيَّتها الأبواب...
أيَّتها الأبواب...
وَحدكِ تعرفينَ أننا مُعْظَمُ الفصول.

كنتَ أرى جوانبَكَ. كنت أرى ذلكَ المِقْبَض،
وكنتَ أُطْلِقَ صرختي عالياً
لا تذهبْ قبلَ أن تقطعَ تلك الزَهْرَةَ، من أجراسِها.

ذلكَ رجلٌ يتحدثُ.. ذلك رجلٌ يستفهمُ، وحدي كنت أَحزِمُ ذلكَ الصراخ
غسلتَ قَدَميكَ بماء هذا العالم، فاذهبْ بعيداً، أبعَدَ من مَراعي نَظْرِك
هذا هَذَيانٌ للقلوبِ المدمَاة. للذكرياتِ ورمادِها. للزمانِ وللتوبيخ.
كنتَ قوس قُزَحٍ يشرقُ من ورائنا
وها أنت ترتعش
وعمّا قريب يَفرغونَ العَيْنَ من هياجها، يلوّونَ الجَسَدَ بهواءِ وجْهِك.

أَيّتَها الأبواب..

أَيّتَها الأبواب..

متى يَطرقكِ البحرُ؟

ماذا ستَمسكِ غيرَ حَطام القَصائد

الأرضُ لا تَمنحُ فِخاخَها، ومذراةُ الليلِ انتَعلَتْ ثيابها

تلكَ شارة التسولَ. تلكَ براهينَ المُلاحقة.

لا تصحبْ غيرَ الهَديرِ

لا تَشْغلْ غير حقيقة النظر.

ذلك الإسم

ذاتَ يوم

ذاتَ يوم، سأسمعُ ذلك الإسم وهو في تَناهيه

أيّةَ أفكارِ تلائمُ أترابي؟

إن قلبي ليهفو لتلك الشُعْلة.

لم يَبْقَ غيرَ الجَسَدِ، وليدِ اللحظةِ، سنديانةِ الليلِ، ماضي الحقول

والوردةِ في غَفْوَتِها.

هل دَنَتْ ساعةُ الشاطيء ؟

كنتَ أسَوّي من الأجنحة ذكرى لاسمك. . .

ومن طائرِ تلكَ الحقول أسرةَ

وتلك هي شارةُ النائح، وذبولَ جناحَيْه.

إنني ألمَحُ نفسَ اليدِ، تحتَ قوسين من الذكريات وأصدائها

آه

ما أشدَّ صخب هذه الأشرعة !

النسورُ للسباحةِ . الريحُ لصفير ذلك الولد .

والشمسُ وحدَها خضرةَ الحقول .

البحر، في المنفى

البحرُ، في المنفى، يعِدُ الأطلالَ بلفحاتِ السناء، وعريدة الأمواه.. .
الأوبئة
تطاردُ شيخوختَها بثباتِ أعْجَف ...
كانتِ النيازكُ تهطلُ موشومةً بروحِ البطلانِ. كانت أضاليلُ النفسِ
تزدانُ بالجنانِ، وكانت الرغبةُ غناءَ الأصداف
كانوا يسلبونَ القصيدةَ، يعرّون جنونَها، ينمقّون ضريحَها
ونحنُ على كلّ وسيط ترجّلْنا
أسلَمْنا نصوصَ الأماسي للمَحْو
على جناحِ المَهاجرِ رَسَمْنا سريراً ووردة.

على كلَّ ليلٍ تركنا ثَمَرَةً من نفحات النساء
كنّا ندنو من الغد المُريدِ، نغرسُ في لبِّ النار
لقد خَسَرْنا غابةَ الصباح.. . أطفأنا ضوءَ صحوِها،
محاطينَ بأخوّة الأغصانِ،

محاطين بهناءٍ مبادٍ

محاطين بشمسٍ تحتضر. . .

يا مروج الأخوّة

كنتَ أزمعُ البادرةَ، كنت أسطّحُ أرخبيلَ الترفّد

كنت أعزلَ متشابكَ القوى

أقضمُ اليقظاتِ السادرة وأرتقي دهشة التفرّس

وحتفيَ ينطقَ بصلاح العاصفة، وصلاح الأمان.

لكن آه

هذه المحالفاتُ لمن؟

وقاتلُ القصيدة تحتَ فيءِ الأمانِ يَقعي مصمّماً على قتلِ اغنيا.

من ترى سيردُّه ؟

يا وسيط أحلامنا، يا لطخةً على صهاريجِ الكلام

لقد أسلَمْنا نصوصَ الأماسي للمَحْو

على حُلُمِ المهاجرِ رَسَمْنا وطناً ومنفى. . .

ها نحنُ محاطونَ بتلصُّصِ النسيانِ. . بمدنٍ تتلاشى أمام كلِّ قادم .

تستوهمنا اصداء القلوب التي خلَتْ، تستنفرُ عزائمنا الواطئةَ،

كان لنا ذاتَ يوم سماءٌ، وأخلاّءُ يَضلّلوننا . كان لنا ذاتَ يوم

ما يسبّب الإصغاء

كان لنا ذاتَ يومٍ بحارٌ تسبحُ في قيعان أهوائنا.

أيّـام

عنّا أيتها المَجنّحةُ تتخفَين،

ها أنذا أطوي كلّ رماحي التي صوبّتَها نحوكِ. . .

وألجأ للمروج أداعبَ انهلالَها

أتذكّرَ أفراحَ اللهِ الثكلى

أتذكّرَ الأصدقاء المحنّطينَ في الصرخَةِ. . . صرختي أنا. . . أتذكّرُ بَطْشَهَم

بنيرانِ التساؤل

ها أنذا أحصي كلّ ما أملكَ :

بيوتاً مقفرة، تسبيحَ، هيَ أمواجَ تتلكأ على حافاتِ النهودِ

سماواتَ مهرّبة

وَهَذيان

إنهضي ... إنهضي أيّتها السَبَلَ المحنّطَةَ، من الدموعِ الأبديّة

لا أحدَ مسحَ الدّمَ عن جبينِ الطانهِ، أو حنا على البراري

مع أنّكِ توسّلتِ من البهجةِ بعيونِ أنقاضكِ ، ودحرَجتِ بلا مللٍ تيه

الأعداء.

إنهضي. . . إنهضي، ها همْ وحدَهَمْ يتقدّمونَ، أولئك الأوفياء، الهالكو

وأنا مثلهمْ، بعيداً عنهم، أطرقُ الدروبَ التي تتلاشى
ها همْ وحدَهمْ يتقدمونَ، ويرحمون تعذُّبي
لا يكفيني التوجُّه نحوهُمْ
وحدهمْ يتقدمون. . .
انهمْ مصائرُ سوداءُ، تتوجَّهُ نحوي، تتقدَّمُ ، وقد أثقلَ خطوَها الحِداد.

عنّا كنتِ تتخفين
وبأمطارك أيتها الضالة كنت تعبئين رأسَك. تبنينَ مدناً للعناكب
. . . كنتِ تقارعِينَ حواشيَ الحدائق
تحدِّينَ بيوتاً تسيحُ، هي أفراحُ الأباطرةِ وقد تفاقَمَتْ
وعلى الصخورِ، هناك صقرٌ يربضُ. عيناهُ تتابعان حرائقَ تناديه
ذكراهُ غسقٌ للغزاة
يا للخديعة !
وحيداً . . . كان يترنَّمُ ، يحدو ثكَناتٍ من الأغاني.

ها أنذا أتسمَعُ أنينَ الجنون. هذا الهدير الذي يتقدَّم، نحوَ منْ ؟
أمامي تقفُ الينابيعُ شاخصةً، وسهامُها تبطشُ بلا رحمة
أسألُ مراراً، ولا يُقالُ لي أين أنتَ ذاهب ؟
أدحْرج فضاءاتٍ، وراء رغائبَ، ولا يقالُ لي تعالَ وانظرْ
هناكَ رجلٌ وامرأةٌ يمتّعانِ العراء . . .

وكائناتي تصدكِ، ونشيدٌ يتقدم نحوَ الشاب الذي يمتلي حَشوده

... يتقدّمُ مذهولاً

وحيداً، مفلساً، يترنّحُ على أكتاف نفسه

كثيراً ما يُشاغبُ الجِذَع

هوَ وحدَهُ هذا التحريضُ مترنحاً، يأتي على أكتافِ ذكراه

محشواً بالسنين التي ذَبُلَتْ.

نجمــة

نجمةً هناكَ تحنو على جموحي، وتربَّتْ على وهميَ الذي أكابِدُهُ

نجمةً هناكِ تحنو على صراخي

على مرأى النظر

سأنشدُ أشعارَ النجمة.

قلب الشاعر

كان ضيفي يتوالدَ من وحلِ الآلهة، وكيانَهَ يزيدَ مازحاً
وبعضَ الهواء طيشَ تَجَنُّنا.
المنفيَ يتوعّدَ الغريبَ، يطاردَ سعلاةَ دواره
ماسخاً براهينَهَ بطنابيرِ الضغائن
وجميعَ الأسبابِ تطرقَ قلبَ الشاعر.

غلمان مجهولونَ، يهمسونَ بتقطيعِ الحَجَر.
يصوّبونَ التعارضَ نحوَ الوحوش
كنتَ أتبَعَهَم مترنّحاً ،
تحتَ ثقلِ أملي.

الشجعان

لقد كنتم ماثرةً
وها أنتمْ صرتمْ نواحاً، وصباحاً قاتماً للأوفياء.
صرتمْ شظايا محنّطةً، تنقضُ بلا رحمة على الموتى الذينَ يتقدّمون
متلفّعينَ بالأملِ نحوَ حياتهمْ
صرتمْ غسقاً خرباً
وايدي تلّوحُ بلا سبب.

كخيالٍ قطيعٍ ينقضَ على خيالِه
وحيداً أقلّبُ ما تركتَموه.

هكذا قلنا

ما مِنْ جديد
غيرَ صليلِ أفواهٍ يَهَدْهِدَ أغنيةَ الأ...

لكلِّ الشواطيء
نَهَبَ طوفانَ الطفولةِ، وأنفاسَها الخائفة
ولكلِّ القصائدِ المتنبئة
نَهَبَ الجيوشَ الحبيسةَ.. . وأساورَ ذكرياتِها
" في كلِّ الغُرَفِ تَقَبَّلَ المراعي أصباحَ عَريها "
يمضي الرجالَ وتتعقُبهمْ صفحاتٌ لن تَسودَ،
وجراحٌ فاغرةٌ تثغو
هكذا قلنا.. .

امـرأة

كنت أقفز لأمسكَ بالدمعِ الذي يهربُ. أطاردُهُ مثلَ وعرٍ يفرّ.
كانتْ هناك أنهارٌ لا تُعدّ ، وأيقوناتٌ تضيء القلبَ وتعتمهُ مرّةً ومَرّة
آه كمْ كانت مَسَرْبَلةً بالحنانِ، وأنا أضعُ راسي في أحضانها، وأبكي.

كنتَ في ذروة الجوع إليها، وكانتْ هيَ قابعةً في صمتها.
لم أكنْ أفهمَ بمَ تنطقَ تلك العينان
لم أكن أفهم ذلك الصمتَ المُدَوّي.

ذاكرة للحجر

المدنَ تذهبَ، وتروحَ. أيتها الأحجارَ الساقطةَ من يد الممرات، أيتها الأحجار.

هي تماثيلَ مقتولة
أتأملُها بصياحٍ مكتوم، ولا أضجرَ من لصوصِها
إنّهم بصبرٍ يديرون رَحاها. وقد مزّقوا فجراً، أو شرّدوا أشجاراً.
علّقوا جمهوراً هناكَ، وتركوهَ يذرفُ دموعَه
إنها تروحَ وتذهبَ. تحصي شظايا، أو تعبثَ بشخص
هو يروحَ ويذهب
وراء دهشته، يتركَ أيامَهَ مبَعثَرة.

أبتدىء أيامي بحرائقَ تتقدّمَ مَقاتليها، وصدرها دائماً الى الأمام
تؤوي ضائعاً، وترفقَ بشريد
لخيالٍ جانحٍ أسلّمَ هذياني

اشهرَ سيفاً خرافياً
فاسمعُ حشرجاتٍ، وارى انقاضاً
وحجراً ينوح.

إلى الليل افرّ. . .
استرشدُ بشبّان ماسورينَ بمشهدٍ قد جَمَعَهُمْ
يَعزّون ارواحهم بمعزوفةٍ واحلامٍ، وقرى كائناتٍ على أطراف الهواء
هم يمنحونني إكليلاً من المناهضة، وسُحُباً
فارمي لهم اعضاء خسرتُها، وممرّاتٍ هجرتُها وسنيناً تحبو
أهذهدُ خيالاً. افرغُ مسافراً من خطاياه
اقفُ، واحَدّقُ بهذه الأصواتِ المصنوعةِ من جِلْدٍ وتَعَب
اقفُ واعدُّ كلَّ هذا.
أشاغبُ أحداً ... أخدعَهُ بمرآةٍ تعكسُ ابتهاجَهُ كمشهَدٍ يليقُ به.

اقرَنَهُ اكثر من اوهامه
اتركَهُ يناكدُ ظلاً ... اتركَهُ وحيداً
وادَعَهُ يهربُ بجيوشٍ مُمَزَّقة
هل يكفي هذا الأنين ؟
هل يكفي إبطالُ التلفيق
هل يكفي ردمُ الخديعة ؟

تلكَ بلادٌ هجرناها. هجرنا أحجارَها

إنّها حناجر شائهةٌ إنّها رجالٌ قد تَعِبوا

غير أنّي وأنا أُبعِدها

أجلو أملاً، وأسحرُ خرائطَ

أقرِّبَ جنوناً، وأحرِّضه. أبعَثَ أحجاراً وأنتَظِر...

بــلاد

ساؤسّسَ بلاداً للأحجار. أصنعَ غاباتٍ للهيام
سأؤسسَ بلاداً. أبتدئها بمطرٍ. وأربكها بعزّلة.
أنطق بضجيج مدنَها. وأعَد أصنامها. ثم ألغيها دفعةً واحدة
سأؤسس بلاداً
أطلقَ فيها مقاطعَ من طيور
أكتبها
ثم أشطبها، بعد َما أكمل مهمّتي

إنني أكشفَ هذه الخطايا، وأنا كَمَنْ يقتربَ من أملٍ سيفلتَ منه
أشمَ الغصون بكلماتٍ. . أشدو لريح سائبة.

يا أسير التمهُل يا أسير البلاد
كان يومُك غريمَكَ. كان سلاحَكَ الجاثم
يا أسير التمهُل، أيها الخصم.

إنني كَمَنْ يمسحُ دموعَ بيته، ويحنو عليها
يتكلّمُ، وقد توزّعه مقطعُ شابٍ، وممرٌ مضيّع
هو سيرثُ على أكتاف الهجران كما عادته.. . أو يبحثُ عن مفاتيحَ غابة
هو يسترشدُ بضيوفِه
ويبيدهم واحداً فواحداً
ما عادَ لي ذلك الإحتشاد. ما عاد لي ذلك التولُه.. . مخرّباً صِرْتُ
هَجَرْتُ كلَّ شيءٍ، ونادمتُ وحشَ التساؤل
وأنتمْ.. .
قولوا من لَوّثَ هذه الغابة ؟ من انتهَكَ رِفعتَها،
منْ وَصَمَ جبينَها بالتعَقُّل ؟
ومنْ ذاكَ الذي يراقِصُ أفعى. يرتَجِلُ رغائبَهُ، ويَسوّي البلاد سريراً ؟
إنني كَمَنْ يَبْعِدُ ، برِفقٍ، سكّيناً عن قلبه
يقتسمُ صفاتَ قاتله
ويقولُ سأكتبُ قصيدةً لقاتلي. سأضعُ له قامةً من تلالٍ، وأدَثّرهُ برابية
لكنني من الأحلام تعبتُ. في كلِّ مرةٍ أتقدّمُ وأنطقُ بما لا أريد قولَه
أوَزّعُ أيامي ثمّ بهدوءٍ أنسَلُّ
أجمعَ وأكوّمُ اسئلةً . أسرقُ حاضراً، وبابتسامةٍ أزَيّنُ ماضياً
أعَدُّ ما بقيَ من حدائق
وأمحو بلاداً.. .

إنني أُعري هذه البلاد. أتحلّقَ حوْلَ بقاياها، وأنادي غيابَها ليتقدّم

إنني أركلُ صداها

أطاردها بكتائبَ مُطوّقَةٍ. وأكتبُها.

سأطوي بلاداً وأمحوها

أطعَنُ نَواحي بما يتَبقّى

هكذا...

أيتُها البلاد. أيتها البلاد...

كلُّ مافيك...

كلُّ ما فيك،
هو مقدارَ ما بي من فضولِ أهْوَج
العتمةُ التي تندَفِعُ دائماً الى سطح يَقظتي
لأن ما أخزِّنُهُ في زَهْوي، هو ما تراهُ
أمامك، اليدُ خلْفَ وعيِها
الدقُّ الخفيُّ الذي يتتبَّعُ الأعماقَ، والذي له اليدُ الأقوى
فَرْقَعَةُ القلوب العارية، المَسفوحةُ في المراعي، بِعَيْنِ ذكرياتِها
اليدُ القويّة
والتي وحدها هي ما أرى

إنني لأنشدُ لكَ وحدَك
حفيفَ الأيام التي دَمْدَمَتْ، وَوَلّت.
فراغٌ يلتفتُ ولا يَمسّ.
يمكنُكَ الآنَ أن تخطو. يمكنك تبْيانَ نارٍ شديدةَ الوطءِ، مِنْ صُنْعِ أقاصيك

لا شيءَ يمنعُكَ. لا شيء سيَحُدُّ من سيرِك
بهذه النار الأجَاجة
أحدَنا بعكسِ الآخرِ يسيرُ، موقظِينَ بهائمَ أعضائنا،
مازجينَ اليدَ الحانيةَ بالغابةِ البِكْر
وهذا يكفي لإهْجاعِ المعرفةِ التي تقودُنا، وهذا جديرٌ بإسكاتها.

إنني لأنشدك وحدك،
مُقبلاً على رَجمِكَ، مبعداً وجهي من دنُوِّكَ.

حَمَلْتَ من فنائكَ ثوبَ زوبَعَتي
لئمتَ زنّارَ مكانِكَ، أقَمْتَ حدودَ نَجْمَتِكَ
السواقي الميِّتَةَ عادتْ تَطلِقَ جوفَها.

أيّـام ماضيـة... أيّام آتيـة...

أبذاك بأفراحٍ كاذبةٍ واقتلك

من المناهضة تبدأين
أنظري كيف انتهيتِ الى أثوابِ الوحوشِ
أنظري كيف تنتهي السلالاتُ... وكيف تبدأ
أنظري
وافترضي أنّ المخابىءَ ضجيجٌ ملفّق
افترضي ساحةً للمناداة
افترضي حانةً يلوذ بها، وإليها الجميع

للرغباتِ المتأرجحةِ في الغرفِ الآسنة
للتنقّلِ بين الصفوف تركتُكِ والقصيدةَ معاً، رحتُ
وسمّيتَ هذا كله أمطاراً

لكنّكِ استدرتِ، بحثتِ عمَّنْ يأويكِ ... وأنتِ مأوى ...
بحثتِ عن تلالٍ تتوّجينَها
أنظري الى الخلفِ ولو مرةً واحدة
لتعرفي أن هذا ما هو إلا خيالك
مَبْدوءٌ بمدنٍ محبوكةٍ تنهضُ من أجلِ قتيلٍ خرافيّ.
أن هذا صخبٌ وأسئلة
لتعرفي أنّ هذا ما هو إلا أنتِ، تسيلين على هذا النحو
في الصحراء، أو في الملاجيء
في الحدائق أو بينَ الجموع

تظهرينَ ثانيةً
أنتِ التي مضيتِ آهلةً بالثبور وبالتَوَعُّد
لقد ملأتُكِ وأفرَغْتُكِ مراراً
لستَ أحبُكِ.. . لم أتغَنَّ بكَ أيّ يوم
صرخةً كنتِ فيَّ، مريبةً وملْموسَة.

تظهرينَ
وأنتِ لستِ سوى مقصلة
مَظْهِرَةً ما هو خفيَّ. مُخْفِيَةً الهربَ من المصائر

تظهرينَ، وأنتِ يا للفجيعةِ ملاذٌ لا يُهْجَر
تظهرينِ، وأنا أقيمُ الصخَبَ المُسنَّنَ الهزيلَ لك
تظهرينَ لأجلِ قبرٍ مؤسِف.

هل نَكَفُّ عن تدجينِ الأطفال ؟
هل نكفَّ عن جعلِ البلادِ تنزُهاً وستائر ؟
لِنَكُفَّ
أعطي الدموعَ للخصمِ، وللأحِبَّة الشراك
أعطي لفمي الغناءَ، وللجميعِ القصيدةَ
هذا ما لا يجبُ إغْفالُهَ
كلُّ نائمٍ أيقظناهُ
كلُّ مندَفِعٍ أطْلَقْنا لأجله طائراً
كلُّ من غنّى أتلفْنا لأجله النياشين
قلنا :
هذا آخرُ نقطَفَهُ ولا نُحصيه

كثيراً أسألَكِ هل أنتِ رهينة
كثيراً أسألَكِ هل أنتِ زنزانة
كثيراً أسألَكِ هل أنتِ خائبة
هكذا أُلْقي بكِ، هكذا أذبَحُكِ في حانةٍ مزيَّفة

أجيؤها وفمي ثرثرة
أجيؤها وأحلامي حرائق
أجيؤها وصدري موَشّى بالخيانة
أجيؤها ورأسي أرخبيل

آه
أنتِ التي تمضينَ، ولن تعودي
أنتِ التي أجمعُكِ وأنثرُكِ وأجمعُكِ مراراً
أنت يا رقصة الخديعة، يا مرآة البراري، وقَرْعَ المخابيء بالوَهْم
أنتِ يا نشرَ الراياتِ أمامَ الأرصفةِ، وقضم الأعناق
أنتِ يا حسر الغاباتِ عن أخلافِها، وطيرانَ الشعوب
أنتِ يا هجيرَ الرأسِ، وأنينَ الإبتهاجِ، إمضي
إمضي ودعيني أسيرُ، ولو مرّةً، من أمامِك .
على أن أبدأ كلَّ ما يجبَ المضيُّ فيهِ، محيّياً كلَّ شيء
إنني مفعمٌ بكل ما تبقّى. ناسياً كلَّ ما لا يُستعاد
أصغي
ليس لكِ الآنَ إلا أن تُصغي
فتحنا وأغلَقنا كثيراً من الأبواب. وانتَظرنا ما لم نَلمس .
إمضي، مثيرةً من وراءك الجافَّ والنديَ
أنتِ لم تلمسي غير القليل والأعجف. تاركةً لسبيله كلَّ شيء

حياً ودامياً. ملجوماً ومَجَلْجَلاً . . .

ليسَ منَ الرضى أن نبوحَ، أنَّكِ مغنٍ مُكَمَّم

أنكِ دائماً تَنحَنينَ لِتَسْرِعي، مَختَفيَةً بالنارِ التي تضيءُ لتَخْبو

أنصتي

ها أنا أبداً لأنْصِتَ لهذا الصمت.

كلَّ هذا لا يكفي لإحياء الصوت فيكِ

صرنا عنكِ نغَضُّ النظرَ، ولا نسأل

وأنتِ تشهدينَ كلَّ هذا، تنصتينَ لكلٍّ هذا. فخورةً بكلٍّ هذا

اقتسمتكِ بين ما مضى منكِ. وما سيجيءُ

أيُّ ابتهاجٍ أنتِ وأيُّ أنينٍ ؟ لم تكوني يوماً لي

تذكَّري. . . تذكَّري

كيف قطعنا عليكِ الطرقَ. كيف رفسنا الأكاليلَ، وأطلقنا السفن

تذكَّري. . . تذكَّري

لأجلِ مَنْ اقتطعناكَ ، لأجلِ مَنْ رَوَّضناكِ. لأجلِ مَنْ أعطيناكِ أحشاءَنا.

كلُّ هذا لا يفجعني

أستدعي لأجلِكِ النسيانَ. أستدعي امرأةً لأنبَشَكِ . أستدعيكِ

لألوذ بكِ

هكذا أظهركِ

انحني عليكِ ولا أطلقكِ. أتباهى بكِ، ولا أحزنُ لكِ
أبدأكِ لأقتلَكِ.

أين.. . ولِمَ.. . ومتى ؟ أسلَمْتَ لكِ كلَّ شيء. مَنْ الذي جاء ؟
ومَنِ الذي ذهب ؟
أيتها الماضيةُ.. . أيتها الآتية
ثانيةً أسيرَ إليكِ وبينَ يديَّ ظلٌ لكِ
أعطيكِ ولأجلكِ وجهاً واحداً. لتكن ذكراكِ واحدة
فأنتِ البلادُ التي نعرفُ، وحدَكِ البلادُ التي نعرفُ
وأنتِ بعدَ كلِّ هذا تجرّبينَ صمتكِ، فَرِحَةً بقَبْحِكِ، لتتأمّلي طبولَكِ
وأنتِ بعدَ كلِّ هذا نجمةً تبدأُ أفولَها
وحدَكِ البلادُ التي نعرفُ، أيتها البلادُ التي نعرف
سوَى من رائحةِ إبْطَيْكِ مأدبةً . لا تكوني ملمَات.

ماذا أصنعُ بكِ
وأنتِ أفقٌ غريبٌ، لا يتركُ من ماضيهِ غيرَ رَجُلٍ مُحَمَّل
بما لا يريد. يبتعدُ ويصيرُ قهقهاتٍ.
يبتعدُ ، وتصيرُ موعداً أعوامَهُ
ورَغْمَ هذا يَفاجأ
إعرفي هذا كلّه، وامحي عنكِ هذا كلّه

انا أبدأ معكِ، ومنكِ. ما الذي أصنعُ بكِ ؟

عاريةٌ أنتِ عارية

وانا وراء هذا انزلقُ. وانا مع هذا لا أهمسُ إلا انكِ طرَقي.

انتِ طرَقي.

ابدأكِ وانهيكِ ، وابدأكِ

أمضي معكِ، أحرضكِ، ما ستعطين ؟

واسعةٌ أنتِ واسعة

أضعُ في اعتقادكِ الجانبَ المضيءَ من روحي.

انشركِ ثمّ أشتهيكِ

وبكِ أندهشْ

يا لعظَمتكِ وأنتِ تقتنصينَ هديلَ المسافرِ

يا لعظَمتكِ وانتِ موطئي

لكنْ دعيني أقولُ شيئاً آخرَ.

دعيني أقولُ شيئاً عن القصيدة وهديرِها ،

ساعةَ لا تكونُ عارية.

ضيقة كما لا أريدها

ساعةَ تعرفُ هذا، وتشي به .

آه ضيقَةٌ أنتِ كما القصيدة

أضعُ في شككِ الجانبَ البهيَّ من روحي

انشركِ وأقتنصُ لهيبكِ . أجلسكِ وانتِ مجدي.

أُفَجِّرَكِ
وانتِ وأنا طرقٌ عظيمةٌ تبرِّدُ أجفانَها
تقودينني أمْ أقودُكِ ؟
هناكَ أشياءٌ كثيرةٌ وحدَها .
كنتِ وحدَكِ، لا تسألينَ، لكنكِ تنتظرينَ إشراقةً، ولا غيرَ ذلك
تدرينَ مقدارَ ما تعرفينَ وما تعطين
لقد أحببْتُكِ.. . لقد كرهتُكِ.. . لقد.. .

هذا هو المشهَدُ الذي يمشي معي دائماً .
يظهرُ معي دائماً ، ويختفي
لا تتبعي غيرَ منْ يكرَهُك
لا تنسحبي
ولكن أيضاً لا تتدفّقي. اما انا فلن أمسكَ بما أريد.
سأتركُ كلَّ شيءٍ لحرارته
رافعاً أو خافضاً يدي، تبعاً لما تريد
امّا أنا
فالروحَ التي تنتظرُ، ولا غيرَ ذلك، أتَعفَّنُ ولا غيرَ ذلك.

أبرزي وغنّي ولا تقولي وداعاً
أثقلينا، وليَكُن الهواءَ أحابيلَنا

أنظري كيفَ أُصغي إليكِ، ولا أقولَ أنّتِ خصمٌ
أنظري كيفَ أفرِغَكِ، ولا أقولَ أنّكِ خالية
أنظري كيفَ تهيمينَ، وأنتِ مشدودةٌ إليَّ
لتكن أصبعَكِ واحدة، واشيري إلى ما تبغين
إبدأي
ولا تقولي : صِرنا ذكرى !

أغنيــة

ماذا سأفعلُ الآن ؟

لقد مضتِ اليدُ التي أَمْسَكْتَ بها

إنّي لأهفو إليها

ماذا سأفعلُ الآن ؟ كيف مضت ؟

آهِ حقّاً كيفَ مَضَتْ ؟

أفلت ما قد أمسَكْتَ، لقد قَضيَ الأمر

وها أنا أَرتعِدُ أمامَ غلمانٍ، لن أنبِسَ ببِنْتِ شفة

سأخسرُ هناءَ شمسي، سأُدَلِّلُ على بطلانِ ناري

من كلِّ شيءٍ أستخلصُ غنائي، إلاّ منك.

كنتَ أودُّ أن تخفقَ بقلبها، هيَ

لأنها آهلةٌ بما تريدُ قولَهُ، متشابكةٌ، بحيث يتعذرُ المرورُ من غير صوتِها

لتُمسك، لتُمسك بقوةٍ بطيرِ ذكراكَ. . . ستبقى القصائدُ حليفَ نارِكِ

النورُ الذي هو موضعُ شقائي

دعني أوقفُ هذا الصدى المسترسِل
لقد سبقتني الوحدةُ الى ظلّكَ ، ما عادَ ينطقُ حضورٌ يمامتي

مقبضُ الجزَعِ يسبقُ لذّتي
تنبّه
هوّذا اللبُ يندفعُ . . . جوهرُ العاصفة. . .
المساءَ يتآكَلُ
القرصانَ يَطلقُ السباحة .

غبار السكون

إليكَ أمدُّ يدي
أنتَ الأكثرِ حنواً عليَّ من عذابه
من كلِّ ورقة تأتي الفصولَ التي عطّرنا حفيفَها
حيث غبارَ السكونِ يُبَقِّعُ جسدَ الحياة.
إنكَ تسكبُ على النسر نارَكَ،
وهو يستظلُّ بنجيعِ جوفِه
إنكَ لتقطعُ الخيطَ الذي يلازمُ الإقامة
من البساطةِ الرقراقةِ. . . الناشزة، تَقْبِلَ النهايةَ
فلا حبّي سيوقِفُ تلاشيك
ولا رغبتي ستحدُّ من هزالِها
أَعطيتُكَ الضجيجَ والسكينةَ معاً
إغسلْ ذراكَ بدمي، الألمَ يتّسِعَ

ها هي يدكَ الآن خزفٌ على رَحِمِ الصحراء

ها هي يدكَ أصقاعُ الطير، وها أنا أجثمُ مثل فضاءٍ ميت
أجنحُ نحوَ الأطفالِ، لا أقرعُ غيرَ رؤوسٍ فانية.
ها هي يدكَ الآنَ تطرقُ بابَ البحر. تأخذُ شكلَ غابة.
أجراسٌ وأظافر، وكلابٌ تجري خلفَ الأمواج
عويلُ امرأةٍ في برقٍ، وأبوابٌ تزعقُ في حلمِ طفلٍ
ها هي يدكَ الآنَ شجرٌ قد انغرسَ في مرآةِ روحِك
أيّها الخريفُ الذي ينتظرُ مجدَه، هوذا موتُ الخيولِ
كانت مثلَ فصولٍ تخرخرُ. كانتْ تتَهَدّجُ بصوت البرابرة
أيّها الخريفُ
أسلحةَ مَنْ قرَعتْ هذه الينابيع ؟
أيّها الوقعُ الشجيّ، ياسقطةً على ساعاتِ الدمع
دَعْ عصافيركَ على الفرح تناجي الطّرَق
فبينَ خطاهُ يقفُ المغنّي عادةً
كَمَنْ أدركَ الفرَحَ، واستقامَ يجاهرُ به.

نشيد العزلـة

كيف ألقاكِ أيتها العزلةُ بكرمِ اللصوص ؟ ماذا أفعلُ بهفواتِك ؟
أنتِ يا رحِمَ الأحجار.
ماذا أفعلُ بكِ. أنتِ يا قامةَ الميت ؟

ها أنا ألقاكِ تتخفَّينَ بالأناملِ، برمادِ اللعبة ذاتها
وها أنتِ تلقينني أسحبَ يدي. جاعلاً من كل شيءٍ ذكرى
حسناً كان ما صنعتُ، حسناً كانَ
حين أعطيتُ للغرباءِ خَلوَتي
حين ظلَّلتُ الهاماتِ الفاتنة، زيَّفتُ النسيانَ، وافترشتُ
البرابرة النادمينَ
حين استدرجتُ الخفافيشَ لخمرتي، وجعلتُ النقائضَ صيحتي
حسناً. . . حسناً كان ما صنعتُ
حين جمعتُ أحلامي في قبضة الوهمِ، وقطعتُ الطرقَ على نيراني
فليس ما يطرقُ البابَ سوى الهجران.

ليكنِ الفضاءُ صمتَكَ   ليكنِ التنزهُ هزيمتَكَ
لقد جرّدوكَ. بقيتَ وحدكَ تسخرُ من نفسِكَ. مقطوعاً،
لا تمسكُ غيرَ ظلالٍ، هي في الأصلِ عدوّتُكَ،
جسدَ الليلِ الواجمِ أمامَ هوائه،
في كلِّ وداعٍ أنتَ عصفورٌ مسافرٌ يعودُ الى أنقاضه
في كلِّ ممرٍّ أنتَ تابوتٌ حامَ واتكأَ الى شمسٍ مطفأة
يا صديق الأصباحِ، كنتَ توسوسُ الفيلَ على أطرافِ الصحراء
آفلاً ، كنتَ تعرفُ نفسك آفلاً
لكنك بناركَ كنت ترقصُ، وبأهوائكَ كنتَ تشتعل.

ومع هذا ما أنتَ إلا خطوةٌ للوراء
نجمةٌ على الشفتين معتمةٌ ، ملعونةٌ وحمقاء
ثانيةٌ أستدرجُ البحرَ ليمحو لُعبةَ الخيول
والآن
أين هي الخطى التي ابتدأنا بها
وأين منْشِدُ الينابيع ؟
أين ؟

رائحـــة الذكرى

-١-

كفاكِ.
إنكِ لستِ جديرةً بالثقةِ يا جذوةً تشيحُ بغاياتها عنّي
لقد صنعتَ جدواي بغير ما أنتِ فاعلة
وتلكَ على الأقل مهمةٌ أولى لبرهنة خوائكِ
هناكَ، على الأقلِّ، لن نُصابَ بالهَلَع
وتلكَ مهمةٌ أخرى.
في ذروة الألم شطفتَ ظلامَ منفاي.

-٢-

- لا تَثقَلي على نفسكِ، أيتها الشرارة يا نُسغنا

الإنسان هو وحدَهُ من يريدُكِ
الإنسانُ وحدَهُ من يناديكِ. . .
كلُّ يوم جديدٍ أنتِ بدؤه.

-٣-

- لا جدوى، لا جدوى، لَجمَ المحبوبَ سطوتَهُ بالنيازك
نجيعَ روحي عادَ يهذي
لقد سَبَقتَني ايها الجدَّ، كنتُ أتصاعدُ نحوكَ،
كنتُ أتصاعدُ لأوازيكَ. . .
لِتَبْقَ، لِتَبْقَ، تستنشقُ هواءَ المرأة،
تزفُرُ وحشة الرجل.
مَعَ هذا
سأظلُّ أُحَرِّضُ الحنان.
ألمْ يكنْ هذا مستساغاً، ألمْ يكنْ لهذا جدوى ؟
يا نفسي ظلّي كما أنتِ عليه. حطِّمي جدواكِ. قودي
أحباءَكِ الى الغشِّ
أنا مثلُكِ مصابٌ بأمراضٍ بطيئةٍ لا تُعَدّ

يا له من تواصلٍ يومَ ذهبنا نتعقّبُ مجاهلَ نضوجنا

وقتَها، كان قلبُ الزوبعَةِ غناءً يسيلُ على لبِّه
أرقدي يا صحوتي، خذي فكرةً عن نفسك
كلُّ ما هو على شاكلتنا قد انصرف
أحدَنا ما عاد بحاجةٍ الى الآخر، ما عادَ لدينا متّسَعٌ من الوقت.. .
آه، يا ليلكة الهذيانِ، أنتِ يا من وحدها هي مَن بقيَ لي
سأركلكِ
سأهَشِّمُكِ
أسمعَ صوتاً يموءُ من جوفكِ
سأفرِغَكِ
سأفرِغَكِ
سأفرِغَكِ .

- ٤ -

ظلّي مضرّجةً بالوَسَن يا أجراسَ حياتي
تقرعين بتؤدَةٍ
أريدكِ للحبِّ كما أريدني
أريدكِ كما أريدني
أبداً في العمق.

- ٥ -

لا تستنهضْ نفسَكَ لغير ما أنتَ مُقبِلٌ عليه
كنْ رفيقَ عَمْرِكَ المخلِص،
ولا تُسَلِّمْ خطاكَ لغيرصبواتِكَ
كلُّ ما حولك، كلُّ ما خَلَّفتَهُ غيرُ جديرٍ بالتلَفّت
اسرِعْ. . . أسرِعْ. . .
كفاكَ وهناً
الحكمةَ غافية
والصباحاتُ تتفاقم.

- ٦ -

لا تقربْ منّي
لقد رأيتُكَ ومرّةً أخرى لن أراك
مسرّاتِنا كنتَ. . .
وها أنتَ تغذو أشجانَنا
لا تقربْ

لن تكونَ غيرَ طيفٍ،
مطلقاً.

- ٧ -

يا لنداوة القَبَل، ويا ليباس الروح !
لَكَمْ هو لطيفٌ قلبَكِ، وكم هو مجنون !
يا لنداوة الأكُفَ ويا ليباس البصيرة !...

معَ ذلكَ ما أنصَعَ سجاياكِ
ما أنتنَ حياتَكِ وما أزراها !

- ٨ -

هناك...
ليسَ بعيداً عنكَ، غدتِ الهاوية موردِهَ
هناكَ
سماءٌ قد ظلّلَتْها

يدَ الإنسان.

هناك أشعَلْتَني وعفْتَني

لقد عافتْ نفسي أكشاكَ القصائد
أقمتَ للأطفال سيركاً من الأناشيد
وأجلستَ الصحارى على ذراع الديَكة.

لقد أعطيتَ للغابة جوهرَ الضَجَرِ، أعطيتَها قلبَ الرجَة
والآنَ لا شيءَ يثقِلُ على قلبي غيرَ ليلٍ جاثم
آه ما أثقَلَه!

- ٩ -

أطرِقْ، أطرِقْ...
هذا ما ستصيرُ إليه
كلُّهم يديرون أحجار خوائهم
في النهارات القليلة التي ولّتْ
جَمَعَ الرملُ الميتَ فناءَ الملائكيّ، وأسلَمَ

حمَيتهَ الى مخيَلة مَسدَلَة
كنتَ احبُكَ، وكنتَ على وجنتيك أجفّفَ زفاف جَرحك
بعيداً. . بعيداً، اخذتني أسبابُ الصداقة
ولقد تخلّصتَ من سكرِ ذلهَا.

- ١٠ -

لا زلتَ وَحدي
وانتمْ لستمْ بِمَلاذي ما من احببتَكَمْ

آه، لا زلتَ وحدي
اقطعَ نَواحَ الخواءِ. . أصغي لعواءِ المدينة وهو يَعَرّش
صارخاً من الألم
إنّني لستَ الوحيدَ الذي يَتسَمّعَ خَبَبَ أيّامِه
وانتمْ لستمْ بمنجاي يا من احبَبْتَكَم
والهواءَ الذي يَداعِبَ افكاري ما أثقَلَه!
وأفكاري تصرخَ
وصراخَها ما أوجَعَه!

- ١١ -

أنظرُ كما تنظرينَ، وأنصتُ كما تنصتينَ

/ وتركضينَ خلفَ أهوائكِ لأنّكِ مُجَلّلَةٌ بالأهواء

فلا تنخدعي بدموعِ النسيان

فأنا على الأغلبِ أضطربُ كما تضطربينَ

وأصادفُ في الطرقِ أقواماً تمشي إلى جَلْجَلَتِها

فأنصتُ كما تنصتينَ وأنظرُ كما تنظرين

آه ...

لقد ذهبتِ الأحلامَ لاغتيالِ ترانيمِها.

- ١٢ -

كان بإمكاني أن أدَنّسَ نصاعَتَكِ... لكن لا

ليس هذا ما أبغي

إنني أحبُ المشاهدَ المقمرة، فالليلُ في النهايات.

مرَّ برقٌ مَتَشِحٌ برَهْبَتِهِ.. . آه لَكَمْ أفزَعَنا !
نبيلةٌ كنتِ، وأنتِ تحتي كمَوْجَة
حِمَمٌ كانت تلفَظُها عيناكِ،
أنفاسُكِ الخائفةُ كانت خنادقَ مَهجورة
وكنتِ قد وصلْتِ إلى أبعد مرمى في قلبي
أيّتُها اللذةُ
أيّتُها الموجةُ التي تعومُ تحتي.

- ١٣ -

أرتجِفُ مثلَ وترٍ مسّتهُ يدٌ غامضة
ما أعذَبَكِ وأنتِ تقطّرينَ قلبَكِ في مسمعي
وبكَنفِ عينيكِ يأكلُ ويشربُ الزَمَنُ !

كنتُ أذبُلُ في الحنين
الذي يعدو مسرعاً

بي لهبٌ يخبو.. . ورغباتٌ كسلى
كنتُ أتوهّمني أغورُ وقد دوّخني الطَرَب
في أحْشاءِ رعْشتِك.. .

- ١٤ -

طويلاً احتَمَيْتَ بحميّة القلبِ العامرِ.. . القلبِ الفتيِّ
محيِّياً الشمسَ والريحَ ونضارتَك،
والقلبُ قد اغرورَقَ بالأسى
فأين هي اليدُ التي أسلَمْتَ إليها أهوائي
مَطمئناً لأنامَ في كَنفِها ؟
يسوقني السموحَ والفرِحَ والمَخاصَ
حتى أنّ وقوفي قد أطالَ في تردُّدِه ؟

لا تَمنَحْني الموتَ ببطء.. .
كُنْ عوائي أيُّها الملاكَ المُكَدَّر.

عامٌ آخرُ قد مضى
ها أنذا انفَضُ يدي من جليدِه

عامٌ آخرٌ قد مضى

وأنا رابطَ الجأش

لمْ أكنْ هكذا فيما مضى

إنني أثيرُ رائحة الذكرى

كيف أُعَوِّضَ تلكَ اللَوعَة ؟

لا أثرَ بقيَ منه. . .

إنني أتباطأ أمام هذا المشهد

وخَطى المشيئة تروحَ وتأتي

ما أضْيَعَنَي

ما أضْيَعَني ! . . .

النوم في الصمت

آتيك
ولي سَحْنَةٌ من يقولُ جئتك وفي يدي يتفاقمُ اللّيل
مولعاً باليافعينَ من أبناءِ الذاكرةِ.. . كارهاً التواليات التي تسرقُ
قسماتِهم !

كم يتألّمُ من يقولُ مرحباً لمنْ لا يَوَدّ ؟
قريباً منهُ أقفُ مؤاسياً، منهوشَ القلب
وقد ماتَ افتناني.

لا أحسنَ جسَّ العَطَب،
ولكنني ألحقُ بكَ دائماً
أمضي خطوةً.. . خطوةً، ولا أعطي شيئاً
كنتَ أمضي هكذا الى الكلمةِ وقد تجمّدَتْ أفكاري
منقَلِباً منذ البدء على كلِّ ما بَدَأت.. .

متلكئاً مع البهائم، أرمَقَ ما ترمَقْ . .

يبدو أنَّ الصعوبةَ بسيطةٌ

وغيرَ ما نَنظُر

أرَدْتَ البدءَ ... وما من شيءٍ ما لَحقتَ بهِ صاغراً.

ثمّ أنني بما أمتلكُ من شجاعةٍ صَغور

قريبٌ من الكارثةِ إلى حدّ السَمَوّ . . لصيقٌ بها إلى حدّ التلاشي

سأذلّ أيَ فكرةٍ أخرى، بل سأسحقها جاداً. لا فكاكَ مما يجعلني

مرتبطاً بلافكاك

آه . . لكم هو صعبٌ أن نَكفَّ عن هذه الحرب !

إنّها مع السيل مُتقرّحَةً تنتعظ،

تلك السخريةَ التي أحضرناها، وأهملناها

إنّها مشاكسةٌ، حتى أنّها من الوضوح دائماً ثاقبة

إصفَعْهُ دائماً ذلك العنَق المتلَفّت ... إصفعهُ أيُّها الضَحِك

يا ذا الجلال

طويلاً كافحنا

رحمةً بهذا المزاج السليمِ الشرودِ، والذي غنّى بلا جدوى.

الغريقَ أنت

والهواء صيدُ السَيْلِ . . قلبٌ له نكهَةُ اللّعِبِ، فلا تَستَنشِهد

بهمومنا

لا ترقَبْ ، لا تودِّعْ، ليسَ هذا بكافٍ.. . ليس هذا بكافٍ
لم أسمَعْ بعدُ صدقَ ما يُقال
آه.. . وكمْ هو صعبٌ أن نكفَّ عن هذا اللّغو !

تهرّأَ القلبُ من الحبِّ، والفمُ من البَوْحِ. كيفَ خنقتَ
التساؤلَ واختليتَ بالوَمضة ؟
مرّةً امنحْني صباحاً أكيداً.. . إمنحني تنهيدةَ الغُفرانِ لأفرَح
يا قماطَ التعويذة
أيّها الشيءُ الوحيدُ المنتَصِر
يا كمائنَ للغِبْطَة
لقد انطفأ البرقُ
وماتتْ رَغبَتي.

مطارق السّبات

يرتعشُ قلبُكَ على قصدير عينيك
في الظلِّ حافاتٌ تفرقِعُ وتَزَنَّرُ خصرَها
ربّما ساستيقظُ يوماً فلا أجدُني في أحضانِك.. . أحبُك
يا فيضَ رغبتي الخرقاء
ثم نظرتَ الى الأفق لأحدِّد الأصداءَ المسترسلةَ، تلك التي
بإمكاني البحثُ عنها دون ذاكرةٍ...
سيَحُلُّ ذات يوم هديرُ فمٍ
أفناهُ الهرب.. . سطوعَ شمسٍ
أضاعها تشابُكُ الأفنان.

أعطيتُكِ ما يمكنُ من الإصغاءِ للحبِّ،
نمرّ ملامساً بعضَنا بعضاً دون الإلتفاتِ الى ما يرتعشُ صارخاً
من الظما
لا شهوة أحصي، بل الكرات البلّورية للشهوة.. .

أيّها المُلامِس
المُقبِلَ لقد رأيْتُك خاسراً فتخطَيْتُك
أيها الخاسرَ لقد رأيتُك
وأوقيانوسَ من السمِّ كنتَ تَلَملِمُهُ ...
مجداً كنتَ تقرِّضَ، وسبلاً
بلا فائدةٍ كنتَ تُمَهِّد
وفجأةً بين عينيك تضيءُ اللانهايةُ. مذعوراً ينتهي إصغاؤك.
أَراهُمْ مُتَمَهِّلين، وهُمْ شاردون.. . أولئك الفتيانَ المزدرون
وجوهَ وادعةً تعيدني دائماً الى ما انتهيت منه.. .
مثل سمَكةٍ تنزلقَ بدعائمَ مضاءة.. . تنزلقَ فلا يصدُّها غير التنزُه
وفجأةً يضيقَ بين عينيهم الرَّحْب
الزمنَ الأعزَلَ، لقاحَ المشتكي والمتعالي، ذروةَ الغمِّ المُطبِق
وأنا وظلّي خطوةً تهمُّ بالقفزِ، تهمُّ، فكلُّ شيءٍ يهَمُّ بالإتقاد.. .
وأبوابَ الرمالِ مكشوفةً للجميع.. .
وغناءَ مَنْ صنعَ الأمواه قد مسَّ ذرعها
كمْ كنتَ تحيا إذن أيها المرءَ، أيها الخائنَ صوتَهُ
وكم عددَ المراث التي أطبَقْتَ بها أجفانَكَ حين غنّيْتَ ولَهَك
... مُرَتِّلاً بلا توَقُّفٍ شهيّةَ الأحشاء .

آه والقصيدةَ جناحَ المَحْوِ المَهيض ...

تشيحَ وقد جلَّلَها القهارمة
بالشروحاتِ.. . تشيحُ شاردةً.. . يرتعشُ قلبُها
على قصديرِ عينيك،
غريبةً، خاطفةً ما آثرناه.
لم أسمع شيئاً لأنصت. لكن موتاً كان يتآكلُ، رأيتَهُ فقذفتَهُ
خارجاً وهو يزبد
لم أعتنِ بحقائقي حتى أنصتَ. لكنَّ رأساً كان يدورُ حولَ محورِه،
أفرَغْتَ ما بداخِلِه
لم أرحَمْ ذكرةَ الفادحِ
وبلا مبالاة أعَدْتَهُ بعدَ ما أفرَغْتَهُ.
تلكَ زمجَرَةٌ مرَّتْ بالصوانِ ولن تتكَرَّر
كان في طيشها من الشرَر ما يخيف لأكثر من سببٍ.. . كان
تشبّثاً ضارياً وليس اختلاجاً
فَخُذْ ما تَبَقَّى من عفونةِ الإكتفاء
هكذا تَعَلَّمُ أن المرساةَ عرضَةٌ للإنتزاع.

إغتَبِطْ.. .
الشُهُبُ دفَعَتْ دمَها بالشرار.. . ما تحسبهُ صبوةً ما هوَ
إلا مباغتة
أوجعَتني

وفي حناياي أغنيةٌ لم تَكْتَمِلْ.

آه

وكنتَ اقولَ لنَدَلَّلَها تلكَ العذوبةَ.. . لنُبارِكَ خروجَها النادر.. .

من الآن فصاعداً. من الآن الظلام مجنونٌ يَصغي، يُفَرِّق عينيه

وهو يتموّجُ مثكولاً دونَ جدوى

مَنْهَكاً دونَ ذوقٍ

وكُنْتَ أقولَ الشجاعةَ تَتَحَطَّمُ. الشجاعةُ جوفَكَ.. .

... يداكَ

صوتَ أحدِهم مَتَوَتِّراً يرتقبُ قلبَكَ

صوتَ أحدهم يحتجُّ لهذا التدبيرِ، وشيءٌ ما يبحثَ عن أسرِك.

لكَ ينصتَ أحدَهم، كفى تقليبَ المفاتيح بلا هوادة

لن أخرجَ إلا بعد أن أصفعَ هذا العقلَ الأجرَدَ.

هناك قُنفذٌ يقرِضَ قلبي.. . أولول بصمتٍ، وهناك

في ثنايا الكلمات يداكَ تلعبان بالكُره

سياتي النسيان، مترنِّماً بالموسيقى الرتيبة، فكفى الشكوى

من الأطمار

لا أعرفُ طموحاً، لا أعرفُ رِفْعَةً، لا شيء ...

دونَ هوادةٍ أُصَدِّعُ انحطاطي. لا تلْتَفِتْ، بل استَمِعْ لقَهْقَهات الأشباحِ

دونَ هوادةٍ أنتقِمُ للجَهودِ النادرة

أترَيّبْ ،

أدَهورُ طموحي واركَلَه.

ما هذا الولَهُ ؟. ما هذا الوَلَه. متى يعتلي الإنسانُ عرشَه ؟

لقد نطقنا ولم يبقَ غيرُ الإنصراف. . . لا مكانَ للقصيدةِ بينَ المتسولين،

فالمسْ غفوَتي أيها الوجهُ المناوىء

ويا دمعةَ الرحمة انهمري، وليَكْشفِ القرصانُ عن حقيقةِ النور

إنني ألمَسُ هجوعَ وحدتي

وبصرختي أدمَغُ شارةَ الفرار.

أنا حليفكِ يا حاشية العافية. . . سليلُ أمراضك التي تَغْفيني

لقد نمتَ بأمانٍ على مطارقِ السُباتِ. . . فكَكْتَ عظام القشْرات.

القصيدةَ ألَمٌ

فاقبَضْ يا جزعي على مقبضِ السوء

الزهرةَ الأريبةَ هلِعةٌ من القبَل .

إذهبْ وحيداً ولا تَحْتَرِسْ يا منْ تَنْتَظِر، لقد تَحدَّثت

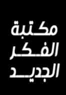
كيف تنطقُ القلوبُ الوحيدةَ

ها أنذا أدَمدِمُ بالبساطة. . .

أتَهَجّى الفصولَ البائدةَ. . .

أشيرُ بالضحكة المأتمية

بعدَما
البراءةُ الناجعةُ أدْبَرَتْ
وأسْدلَ الغناءَ النديّ .



الآمال الساهرة شمسها أعتمت*

كنتُ أراكِ تتعرينَ على سفوحِ جسدي المذعورة
كنتِ عائدةً من الخوفِ تواً، وعرقكِ اللدِنَ يلامسُ حناياي
بشكَ
ثمَّ رويداً.. . رويداً، وبخفةٍ يأتيني الخوفُ الذي عدتَ منهُ.. . مؤثِراً
أن يعضّني، هكذا كانَ يأتي. لم يَكُنْ غامضاً.. .
كان مثلَ ريحٍ، كنتُ أتَعرّى بشفقةٍ على سفوحِهِ.. . كنتَ أتعرّى
من الألمِ الذي يَشَقِّقُني.
كنتُ اتَملّصُ من الأكفِّ التي تَخْنقني.. . أزوغُ من النظراتِ التي
تأكلني. كنتُ أَنفَجِرُ مَقْروحاً، لاعقاً السنينَ بنَهَمٍ.. . مداهماً
تجاوبي الذي لم يأتِ لحدِّ الآن. ومع ذلك أناديهِ وأتَرَقَّبُه.
أهَزُّه في نومي وفي أحلامي التي تئنُّ.. . أُناجيهِ في صحوي.. .
أُناجيهِ لأن هذا يستَفزُّهُ.. . لأن هذا ما يجعلَه يزيدُ في الإهانة.. .
لأنهُ هو المي.
لمْ يكُنْ قهري ببعيدٍ ولم تكنْ عثراتي بالمكترثةِ، غير أن طموحي



السامي ظلّ مَطهّراً.
ساخلعَ قلبَكِ يا نفسي.. . ساقتلُ فضولكِ اللامجدي.
هكذا أحدُ من تنفّسكِ، مهما يكن فَليس بصعبِ التَهرُّبَ منك
بوَهنٍ سأطلقَ نداءاتِك الواهنة.. . لن أتأمّلَ ما وصلتَ إليه
- كنتِ تتعرينَ في حنايا جسدي المخطوف
مسلمةً رأسَك لروحٍ هاجعة.

تمهّل، وعلّقْ أولاً هذه الفراشات المرميةِ على القلوب الهاذية
خرِّبْ، ولا تتشكَّ، هذه المراعي التي تطفو قربك.. . منعطفةً نحوكَ
وقد تلبّدَتَ قاتمةً، كَمَنْ يستيقظَ غير مصدِّقٍ النجاة
لأريقَنّ.. . لأريقَنّ بياض قلبِكَ التلف.
فتّشْ عن مواضعَ أخرى إن أمكن
عرِّفْ بأغنيةٍ خاليةٍ من الشكَ
لقد تَلوّتِ الفاقةَ في سحرِ تحليقها، وتموّجتْ ناعمة
فَذَعْ رعشتي تهمسَ قريباً من الأنام، كما فراغٌ قد ضجَّ بالعابرينَ فجأة
أنتَ الذي هكذا خَلق
حاوياً كلَّ نأمةٍ، عطوفاً على الرغوة المتطايرة.. . مَعلِّلاً النفس
بما لا يُحصى ودائخاً من الطَيَران.

أيَّ مسخٍ هذا الذي يغلُّ اليدَ، وفي كلِّ المواضعِ تنتَفخَ الشفاه

من الدّمِ الحارْ
وفي كلِّ سكونٍ ثمّةَ صخبٌ يَجأَر
وخلفَكَ دائماً ثمّةَ بهائمَ وقد أدميَتْ
اختلاجاتٌ لن تهدأَ
وروحٌ تنفَثُ ولا تكلُّ
لنَغتَسِلَ في أبهى المواضعِ من أدران منفى المَجْد،
تقولُ الحقيقة.. . وترنو.. . فترى عينيها قد احمرّتا من شدّة الخَجل
وكنتَ أُحَشرِجُ :

هل أنّي ؟. هل أنّي ؟ لو أنّي !

إصغِ.. . اقتربْ أكثر، كَنْ لصقي. فكلُّ شيءٍ يَقصي بلا خشيةٍ ذروَةَ هواهُ
ومن قلبِ الضيقِ تخرجُ خراف دَوخَتنا بلا رأفة
إنني أعرفَكِ أيّتها القلوبْ.. . إنني أعرفَكِ
من المنخَرين يخرجُ الآلهةُ وقد تبرقعوا بالزحافات.. . ومن الفمِ يخرج
غصنٌ نحيلٌ وقد أثقلَتِ الإستعاراتُ كاهلَه
لا أخافُ ركاكتي
أنا الذي يقلّدُها طوالَ أيامي المترديّةِ نحوَ الأفضل
أدورُ، وقد ابتلّتْ ثيابي من لُعابِ القصائد
مضطرباً.. . صارخاً :
فتّشْ عن قلبٍ إنْ أمكَن
أيُها الأبلَه.

بين يديكَ مُتَرفِّعاً عن النقمة، ينهضُ الجبلُ عارضاً عليَّ يفاعته العربيّة
في محجر قلبينا تثير سباحةُ الموتى السطحَ الطفيليَّ لدائرة الحضور . .
وفي لبِّ الإفاضة تتنفَّسُ اليراعاتُ عاصفةَ حبِّي الندي
فصَدّي أيّتَها القبلةَ فيَضانَ الدموعِ الغابرةِ، وطرقاتِ الليلِ القليلة الأمان
الآمالَ الساهرةَ تتردَّدُ إنْ شمسُها أعتمتْ.

مؤكَّداً

مؤكَّداً ... مؤكَّداً أنّني مسحوقٌ بفراغِ الطموح، لأنّني لم أنته بعدْ
أهرَعُ إلى أعدائيَ الأكيدينَ.. . ألوذُ بهم.. . أستَنْجِدُهُمْ، ومعَ ذلك
فإنني أحلَمُ وأحلَمُ، لذا أتَعذّبُ، هكذا
هذه لعبةٌ لن يفهمَها الأولادُ، لأن هنالكَ موتىً يتكلّمونَ بضميرِ الحاضر
لأنّ هناكَ أفراحاً زائفَةً، وكلماتٍ باطلةً يجبُ أنت تُقال
ومعَ ذلكَ، فإنني مطمئنٌ بكثير من الحذرِ الى حريّتي
أودِّعُ يوماً، وأستقبِلُ آخر، وأبدأُ الثأر
أضرطُ على حياتي.. . أضرطُ.. . أضرط بكلِّ قواي الإنسانية
أدغدِغُها بضرباتٍ جدِّ مؤلمة، بنفاذ صبرٍ لا خوفَ منه
ثم أتأمّلُ أشلاءَها بهدوءٍ ورجاحةٍ - كنتُ فيما مضى لا أتوقُ لشيء،
مُضحكاً حدَّ البكاء، ومتسائلاً بلا هوادةٍ : ما العمَلُ ؟
وبعدَ أن يتلاشى أحدَنا بالآخر، أتَدَدُ بها، ألَوِّحُ بها، تاركاً ذخيرتي
من البديهيّاتِ تنفذُ الى آخر قطرةٍ، ساخراً حدَّ الشماتة

مؤكّداً. . . مؤكّداً أن صوتيَ غيرَ مميّزٍ وسطَ هذه الضوضاء
وأنّي مصابٌ بسيلانِ الألمِ المُزمِن.

دم الرغبـــة

ما كان يصدَعُ قلبي هوَ دمُ الرغبةِ المطفأةِ، وضجَةَ الغيومِ التي
تستَشفُ نفسَها بقناعٍ ضجري، وأصداء ذاكرتي
خفيٌ حلمي، وقد وَصَمَهُ دمُ الفاقة.

أرخبيل الزفــاف

الريحُ عن شروقِ النفسِ تتحدّثُ، ولا تكفُّ عن فضحِ ما يريدُه الثبات.
غريبٌ علينا نعيمُ الزفير، وغريبٌ علينا غروبُ التعذُّرِ وهو يدمج
مثولَهُ الأجوف.
الغناءُ المهجورُ امتدَّ مكشوفاً على كلِّ صفحةٍ، وغبار مركبه قد
لامسَ كلَّ شيء
يُهَيِّجني في الألَمِ مغارتَهُ الحائمة، وحقُّه الأكيدُ، وملاذَهُ الذي
يصمُّ أذنَهُ عن تَنَفُّسِ العالم
كيف ترتقي حياةَ أرخبيلِ الزفافِ، وقد قفزَ الحسودُ من رغوةِهواه
تَمهّلْ... تَمَهّلْ..
في ظُلُماتِ قلوبِنا يسوقُ المجانينَ قطيع العصرِ المندهش بِعورتِه
وقلوبَنا بِبذرَ التلَعثُم.

طيورٌ تتقدّمُ متلَفّعَةً بشرارةِ الصباحِ الأولى.وحقيقةُ الصباح نيزكٌ في يدي
على هذه الارض ينهضُ الانسانُ وهو دخيلٌ على نفسه
فلماذا تُحَدّقَ بعيداً، وأنا سحنةُ غايتِكَ، متعَباً تنادي

الحمقى أن ينهضوا ؟
ومنكَ الرأفَةُ تخطو، مدركةً أن الفسادَ الوحيدَ هو وهَنَ
خطوَتِك ؟

مدينـــــة

تطوي وجهَهَا بالتجريح. متنَكِّرَةٌ بانحناءَةِ الرضى
هيَ المتلاشيَةُ في معدنِ أبَديِّتها
تقومُ من سجاياها وقد باغتَها حيزومُ ضميرِها المُقرفِص.

رجالُ الروابي يتَقَدَّمونَ وقد خلّفوا وراءَهُمْ
غسيلَ اللّجاجَة.
ها نحنُ قد خرَجْنا من أرخبيلاتِ نفوسِنا
تقدَّمْ
ولا تُفسِدْ نفسَكَ بتبيان مسافةِ الصعودِ.
مِنْ جديدٍ ترَنَّمْ بما
تريدُ قَوْلَه.. . كفاكَ تدورُ بذاكرةِ النومِ، ففي أحضانِكَ يغفو
سِحْرُ القصيدة
وليسَ بعيداً عنكَ تقفُ الوحدةُ المُمَوَّهَةُ،
واسعةً تستَقبِلُ بردَ شَمْسِها

مِنكَ يَنهَضَ الأسى حرياً بالغفران
لا شيءَ. . . لا شيءَ في حوزتي غيرَ برهانٍ حقيقيَ.

لمْ أكنْ ذلكَ الرجلَ، لمْ أكنْ. كُنتَ دوماً عدوّ نفسي وغريبها
الأفواهَ هكذا تتكلَّمَ عن لسانِ حالِها. . .
والقلبُ الذكيُّ يصدَحَ مِنْ
قلّةِ حيلَتِه
تَفَتَّتْ يا مَناكِدي، عَيونَكَ مغروسَةٌ كشظيّةٍ في لحمي
بيَ يأتي الحبُّ لأقْبَلَ حدَّ سيفِك
لا تكادَ تَمْسكَ الرِفعَةَ عابرةً، حتى تصيح بي : إغتَذِ !
فَيَسيلَ لعابي،
يدورَ رأسي من الصدى الآمِرِ
وأختَنِق.

على ضريحِ صَبْوتي رَسَمتَ دربَ المتاهَةِ، وظلامَ وجهِها
تُصاحبُني غِبطَةَ القصيدةِ، وصباحُها الأزليَ.
بعيداً. . . بعيداً عن حبّي الذي لن يرقى. . .
بعيداً عن رُشدي وغُفرانِه السليم. . .
بعيداً عن طفولتي المرتّلَةَ لنفاذِ صبرِها
وبعيداً عن وهمي بأنني أسترشِدَ بالمعرِفَة

سأتَوِّجَ المَوْجَ ببرهانٍ فِتْنَتي،
مستعيناً بالذاكرةِ الطالعَةِ من الثِّقَة
وبالعاصفَةِ التي تَخْتَرِسُ من حُلْمها .

أناشيـــــد

-١-

لا أحَدَ هَناك

والبيوتَ أفَقَ شاسِعَ

لا أحَدَ هناك

وحدي أسمَعَ تبَعثرَ المَوْجَةِ.. أسمَعُ اضطرابَ أشلائها

لا أحَدَ هَناك.

-٢-

في سالفِ النهار ينتَزِعَ الليلَ جلبابَ آمالِه

وذاكِرَةَ الحاضرِ لَطّخَتْ مرايا الأسرار

كَنْ صَمْتَ احتراسيَ المَثَرْثِرِ.. كَنْ بَعْلَ ظَلي

سميري هَجْمَةَ ترفقَ بالذكرى، ولَحْظَتي شَجَرٌ عليل.

-٣-

هناكَ رجلٌ يتعَقَّبُ ذيلَه. وهنالِكَ رجلٌ يَتَعَقَّبُ أنفَه. وهناكَ مَنْ يتعقَّبُ دبرَه

والنظرُ المولَعُ بهِمْ سلسلَةُ انتظار

هنالكَ رجلٌ يتعقَّبُ فزَعَهُ في صالةِ خيالِه

وأنا حُلُمُه.

-٤-

جزيلُ الشكرِ الى الذاكرةِ مرآةِ الحُلُم

... إلى المرأة قُرحَةَ المُراد

... إلى الشعْرِ بَدَنِ الثمالة

... إلى الوَجَعِ شقائقِ الآمال.

-٥-

الفمُ المُطبِقُ يناديكَ أيُّها الزمَنُ الذي هنا

أيُّها الزمَنُ الذي هناك .

-٦-

كانَ هناكَ زمنَ يوقِظَ الأمسَ من نَوْمِهِ المُحتَمَل
زَمَنَ تَوَرَّمَتْ أطرافُهُ من شِدّة التَبَتُّلِ، ومنْ كَثْرِما هَدْهَدَ النيام
أحبُّهُمْ. . أحبُّهَم أشقّاءُ الهزائم. . أولئكَ العُراةَ في عِزِّ القَلْب
أناديهَم
واستَنفِرُهَمْ للمَقْبِلِ من الهَزائم.

مرحباً . . تعالَ نحتفي بطائرٍ آخر يتوارى

إنّهَ فزِعٌ

وحافِظةُ الأفكارِ قد اغبرّتْ من وَعْثاءِ السَفَر

قديماً . . ذاتَ يوم . . وعلى نحوٍ ما تمنّى طقساً جليلاً وقلباً يناجِم الفَيْض.

إنّهَ لا ينسى أثَرَهُ المقْتَفى، ولا أنا

إنّهَ يعكِسُ أحراش صباه على قروحِ الموتى، وأنا

إنّهَ يقودُ قطيعاً مندثِراً الى الحَوافِّ، وأنا

إنّهَ فزِعٌ، وأنا

الآنَ، ذاتَ يوم، وعلى نحوٍ ما

طائرٌ آخرٌ يتوارى في السّهاد.

الطقس العامّ

أناطحُ رياءَ الأوْصال...

خارجاً إلى النهرِ وقد بعثَرَني قارب.

هكذا تنبجسُ السكاكينَ من عوْرَتِها، والكلماتَ من سُباتِها

هكذا عَوْرَةَ الموتى تبزغَ من تضاريسِ الرغَبات

وبعدَما تذهَبُ الأصباحَ هدراً، أنَدّي انتقامي بالقطيعة

بوسعِكَ الآنَ أن تبدأ هلاكَكَ أيُّها المقبِل !

آه لقد غدا البياضُ لثامَ الغابة

وكلماتُ إغاثتي أمضغُها بهدوء

تهربينَ أيّتُها الكلماتَ مكفهِرةً من النُباح

وصَمْتٌ مشلولٌ ينفُشَ في أوْصالِك.

خطيئتي صارتْ نهراً يتوارى مُشفِقاً وراء الأبواب.

إنهُ ينظرُ لحقيقتي بأسىً جسيم

وهاأنذا أخلَعَ مساعيه بصبر

وأرتضيه حَيِّزاً.

إلى كورت شفترز

- « إنني أسأل عن آنا بلوم » .

آنا بلوم، شاعرٌ اسودَّتْ أسنانُه من سرائر الكلمات. . .
وَحَلٌّ قد لطَّخ أطرافَ ثيابِ النوم. . .
أعضاءً عالقةً بنثارِ الحبِّ

آنا بلوم تسيرُ الهوينى على رضابِ الشغَف
وجعيرُ الهدوء الذي يتلمَّظُ أطرافه يهَدْهدُها
آنا بلوم تأتي. . . آنا بلوم
تنثرين على ثياب العذارى رذاذَ بَظَرِك
خذي عطرَ الزنى الى ركاكةِ القلب.

آنا بلوم
هنالكَ حقلٌ من العصافير يلهو بحرافش بقاياه
آنا بلوم.

ابتديء باقتناصِ السبّب

إنّهُ حيّزٌ ينفتحُ في النظر بَغْتة
جاءَني وقد انتَفَخَتْ أوْداجَه بخلاص العادة.
غَرَسَهُ في ركاكتي ومضى.

كنتُ أدورُ دائخاً في فجرٍ قد انعَدَمَ حضورَه
ببرودٍ لا مثيلَ له
كانتْ هناك غيومٌ قد جَفَلَتْ من هذا الرواج، وهي الشاهد
الوحيدُ على رمادِ الأعراس
إنهَ موعدٌ معَ الشقاء قد أُعْدِم
جاءَني مُسَرْبلاً بأطفال الكرَ.

ها أنتَ مُسَجّى
هناكَ موسمُ الحصادِ.. . وهناكَ فئرانٌ تَنقُرُ هلاكَ الأفكار
وهناكَ فمٌ يَجذفُ ولن يكفَ

لا زلتَ أنْغَرسَ في قشعريرة الأرضِ وأدكُ أوتادَها،
وقناعَ حقيقتي قد تلوّثَ من البَصَمات
ها أنتَ مسجّى
هناك من يطمسَ نبراتِكَ. وهناكَ من يَلَوِّحَ لكَ بالتَوَهُّج
وهناكَ جنون.

كان آتياً من عواءٍ دَوْزَنَتَهُ المساعي بأربابِ الجَهْل،
وحيداً كما الشمْل
كانَ سراً أقفَلَتْهُ العادةَ على جسامَتِها، وباباً هَجَرَهُ الضالّون.

كان قد تَنَصّلَ من أعدائه تماماً
كان وحيداً
آتياً من ظلالٍ لا يعرِفَ كُنْهَهَا

أعشابٌ آسيا

عَشْبٌ يجلسُ قبالتي، منبثقاً من نارِ كونهِ يتلَظى، ها هو يتلوّى
قَبالَتي، يَحَدّقُ ولا ينْطق
يستحيلُ القريبَ، وقد انبثقَ فجأةً من ظاهرِ جِلْدِهِ، يستحيل
هدوءً يَغذّي ثقوباً في جَمجَمَةِ الموت
ويَضيِّقُ الداخلَ لموتِ الخارجِ ذريعةً ها هي تَتَحلّلُ قبالتي
تنتَحِبُ ولا تنطق
تعال يا قطيعَ الفُرسانِ، تَقَدَّمْ
مُحيّرٌ أنتَ على مخملِ الأبجديَةِ. وجهكَ الثآليلَ. تعالَ يا قطيعَ القَرقَعة
تقدَّمْ نحوهَمْ.
ظامئونَ مثلَ طيشِ عقلي، «مُشَرْشَحون» أمامَ اللفْظَةِ الغابرة.
العناصرَ يَبَرقِعونَها، والكلماتَ يَرشَونَها
الحبيباتَ عن فروجهنّ يَنْفُضنَ الغُبارَ، وهم قد جنَوا من الظنَ
يوارونَ كلّ شبَحٍ، يَتَملّون كلّ ميتٍ، يوارون أحشاءَ قبورهم
شياهٌ مَقَطّبَةٌ، يحلمونَ بالمثولِ، يكتبونَ الذاكرةَ على نخاعِ الضَيْف
ويبتدئون النّبوّةَ بالزّحار.

بلادي السيولَ الخاويةَ . . .
تهربينَ يا بلادُ فنكمنَ لكِ
تبينينَ فنتلفُكِ.

حيثما تطيرُ الأفلاكُ، يبدأُ تفريقُ الجثة.
تعرّينَ يا صريعاتِ الصفعةِ . . تسفلسنَ بالرماد.
يتخفونَ بأحشاءِ الحدودِ، ينطقونَ بكتابِ الصدفة. نا
ديتَهُمْ كثيراً
وقد سوّدَتْهُمْ وعثاءُ التفرُّج
موشومونَ منذُ البدءِ بالنسيان
وكؤوسَهُم قد فاضَتْ بالهلاك
ناديتَهُم ولا فائدة،
كانوا في ثنايا التوابيتِ يرشدونَ سنينَ جرَبِهم،
يلوذونَ بحطامِ حناجرِهم
ناديتَهُمْ ولا فائدة ، نَبينَ فيكمنون.

هناكَ أسنانٌ صدئةٌ تعضُّ على شيخوخةِ الصغار.
هناكَ ديمقراطيّات
منوّمةٌ في هوادجِ اليراعاتِ. هناكَ الهواءُ

يبحثُ عن عكّازَتهِ. وهناك
أنشوطةٌ تترصَّدُ الشعوب.

نهتدي ببَصيصِ الكلام
الأرضَ تَمْطِرَ، والكلامُ يسيل
كانتِ الدموعِ تجوسُ في الزمَنِ بحثاً عن مأوى.
والسلْمَ يقِفُ على رموشِ حقدِهِ
هناك سهمٌ قد طاشَ ولم يَصِبِ الرحْمَةَ.
وهناكَ شظيّةٌ سقطتْ في الإناء فَسَمَّمَتْ حليبَ الذكرى.
تَحَجَّبي يا زانيةَ الكلام.

عادةً يتذمّرُ الرجالُ من هذه الحال
والذي يحتَجُّ على ذلك استبدَلَ الوصالَ الهامِسَ بالهَمْس
صار الأمواتَ يختبئون ببركاتِ أمّنا المبَرقَعة
وأفكاري قططٌ تمسحُ الغبار
عن أقفاصِ الملائكة
يا صليبَ الحِمْلانِ، أين تمضي بهذه الخرافِ الرثّة ؟

بلا مبالاة تنزعينَ صُلبانَكِ الرثّةَ يا بلادَ الله،
وتَسقِطينَها على دموعِ المديح،

وفي إصطبلاتك يَجزُّ الحبُ صوفَ مستقبَلِه . .
الغضَبَ سيَحملُكِ لقدّاسِ التقهقرِ ، ربحٌ تقودُ عقبانَكِ
لِتدلّها على الاختباء
آسيا أيَّ طواطمِ تلهو خلفَ نوافذك ؟
إنني أراكِ وحقيقتكِ الوحيدةَ أنَّ شظيّةً عضّتْ دماغَك
تختلسينَ الكلمةَ ، تنفضينَ أحشاءَها ،
تقشّرينَ عنها شواهدَها
جوعَها المَحضَ ، وغضبَكِ صامتٌ يهادنُ الغيوم .
تعالَيْ إلى الحدائقِ بلا شرطٍ ،
أريحي رأسَكِ الضاحكَ من الفزَع
فالشبّانَ يَحملقونَ في البريَة
والبريَّةَ لا تَكفُّ عن إغرائهمْ بأجراسِها
والموتَ هو الآخر لم يكفَّ عن الإعتناءِ بالدواجنِ

متى يكفُّ الشبّانَ عن الإنتظارِ وسرقةِ الهواء
كان يجبُ أن نراهمْ جنبَ الرجلِ الصالحِ يغنّونَ بمعنى صلاته
إنّهمْ يُخطِّطونَ كثيراً لسرقةِ ما تيسّرَ من هواء
كأنّهمْ ملائكةٌ يديرونَ رؤوسَنا ويفرضونَ التلفُّتَ لتجذيفِهم
ونحنَ في سرِّنا ندفئُهم ونطمئنُهمْ بنظراتنا التي تشترطُ المقدّمة
آسيا يا جدوى بلا معنى

آسيا تتكلّمينَ بلا معنى، وتسيرينَ شامخةً بلا اتّجاه
لقد تَقَشّرَتْ دموعي من البُكاء
تجلسينَ قُبالتي، وغارُكِ قد صُنِعَ من أطلاف الموت
أحَدِّقُ بكِ ولا أنطِقُ. . .

عقيل علي، أو :السير حثيثاً إلى الأقاصي

بقلم : كاظم جهــاد

عندمايبدأشاعرٌ بالكلام، ينبغي أن تسقط جميع الوسائط بينه وبين قارئه الذي لن يكون إلاّ مَحقاً بالكامل عندما يمنح السيادة كلّها للقصيدة . من هنا فلن تقوم هذه الكلمة المهيأة للورودعلى الهامش من هذه المجموعة إلاَ بتقديم بعض الإيضاحات عنهاوعن سابقتها « جنائن آدم »، وعالم الشاعر نفسه، إيضاحات طالبَ بها غير قاريء وناقد لدى صدور المجموعة السابقة المذكورة، وإذ نتقدَم بهاها هنا فليس بدون شيء من التلعثم وتعجَل الإمّحاء للدوافع المقدّمة سلفاً .

ليست قصائد هذه المجموعة، في الواقع، بالتالية لتلك المتضمَنة في مجموعة « جنائن آدم » الصادرة قبل عام في منشورات « توبقال » في المغرب، والعائدة كتابتها إلى أواخر السبعينات (٧٦-١٩٧٨في غالبيّتها) ، بل هي معاصرةٌ لها، متزامنةٌ وإيّاها . هذه وتلك إنّما تعود معاً إلى دفترٍ من الشعر ضخم بعث به لنا عقيل، إلى باريس ، في أوائل الثمانينيّات . وبعدَما نشرنا نصف محتوياته، أوتقريباً، في المجلاَت الأدبية العربية (خصوصاً « مواقف »

و« الكرمل ») ، بدأت مرحلة أليمة في البحث عمّن يصدر قصائد الشاعر في كتاب .

في بيروت، وكانت ماتزال بعدُ في عصر نشرها الذهبيّ، تركَ البعض، حتّى ممّن شهدوا لقصائد صديقي بالفرادة، تركوا هذه القصائد على أدراجهم أزماناً طويلة . ولدى تكرار هذا الإهمال، العدوانيّ أكثر ممّا هو عديم الإكترات، يضع المرء أصابعه على إحدى أهمّ الأواليّات المتحكّمة بعمل الثقافة العربيّة. كلّ شيء يجري في أغلب مناحي هذه الثقافة كما لو لم يكن للغائب ، هذا الذي منعته ظروفٌ معيّنة من الهجرة والإتلاع برأسه في « عواصم » الكتاب العربيّ، أن ينال مايستحقّه من الحضور بنصّه إذا لم يكن ماثلاً، هنا والآنَ، بجسده، وبشخصه، قابلاً للتطويع والمصادرة في « البورصات »الثقافيّة والرساميل الأدبيّة، و في نهاية المطاف، إنتهت القصائد إلى منشورات « توبقال » لتصدر منها ، في طبعةٍ جميلةٍ ، بعد انتظارٍ دام خمس سنوات . وهنا أيضاً، ونظراً لمحدوديّة إمكانات الدار، إشترِطَ علينا منذ البدء ألاّ نقدّم للطبع سوى نصف القصائد ولا نتجاوز الحجم المتعارف عليه الآن لمجموعة شعرية، أي ثمانين صفحة . هكذا، ولإتمام أثر « جنائن آدم » ، ننشر في هذه الطبعة جميع القصائد المتبقيّة ، تحت عنوان إحداها: « طائرٌ آخر يتوارى » ، آملين أن يتوفّر القارىء على جديد الشاعر عمّا قريب،

ثمّة، مثلما كتبَ ستيفان تسفايغ في دراسته الرائعة عن هولدرلين،

شعراء يجتذبونك إلى إلفةٍ، إلى اختبارٍ في الشعر، إلى مسيرةٍ، وإلى عبورٍ بحيث تتمنّى لو عرفتهم حقاً . أمام شعرآء كهؤلاء، تكاد تتساءل : كيف يعيشون، كيف يتنفّسون، في أيّ مجالٍ يحيون ؟ « من هو هذا الكائن، وما منزلُه ؟ » ، كما عبّر سان - جون بيرس . ولستُ لأبالغَ قطّ إذ أقول أنّ أسئلةً كهذه طالما صاغها أماميَ الآخرون ممّن قرأوا قصائد عقيل ونهَلوا من ينابيع **المودّة الأخرى** التي ينتهي هذا الشاعر، حتّى في قلبِ الضّيم أو مادعاه البعض، بصدده، بالفجائعيّة، نقول ينتهي إلى إشاعتها في القصيدة . وكأنَّ الشاعر، الذي يبدأ بمراقبة بالغة المكر « للطقس العامّ »،والذي يغترف، طوعاً، ولكن بفرادةٍ، من « الألم الشائع »، ليس يمكنه إلاّ أن يعود ليسكب عافيته الجوهريّة في « الهواء الشائع » .

سخاءٌ في الشعر . والشعراء الحقيقيّون أسخياء، حتّى في أقصى غضبهم وحتّى في أقصى الموقف النقديّ، بل « الهجائيّ » بالمعنى الذي كان يمنحه رامبو للهجاء الشامل، الذي يقفونه من العالم والذي لا يكونون بدونه شعراء . شعراء هم أصحاب « لا » و« نعم » في آنٍ واحدٍ، « لا » كبيرة للعالم، و«نعم » لا تقلّ كبراً عنها للحياة . هذه الرأفة الشعرية، التي ليست شفقةً متعالية بقدرما هي بساطةٌ، البساطة التي وحدها تمنحها القوّة، قوة الذهن والوعي والروح، إنّما تأتّت لعقيل من مسيرة قاصية (من الأقاصي) ذهب فيها إلى الأكثر تعقيداً حتّى يرجع إلى البسيط ، وإلى الأكثر حلكة طمعاً بالنور « الناشر بصيرته على كلّ شيء » . مسيرةٌ في اتّجاه الأقاصي كهذه تفترض شيئين أساسيّين : ضخامة

تجربة ، وسعة انفتاح ثقافي . تكفي، في اعتقادنا، قراءة بسيطة لعقيل للتأكد من توفره على هذين المعطيين .

نشأ عقيل في مدينة « الناصرية » القائمة، في جنوب العراق، على شواطيء الفرات ، حاضنة ، في الجنوب منها، زقورة « أور » وبقايا « سومر » الباذخة . للمدينة مقامها الخاص في الضمير العراقي الذي نسميه هنا ابعد من كل نزعة قومانية أو تموطنية . من هذه المدينة انطلقت الحركات التجديدية الأكثر حسما في مجالي الموسيقى والرسم والشعر بخاصة. ولعل هذه الحيوية الآسرة واجدة أحد أكبر مصادرها في هذا الإكتظاظ المجنون لمدينة مكثفة الواقع، آهلة بوجوه ، بكائنات ، ووقائع يومية ، جد غريبة . الدخول إلى عالمها المديد، المتشبث بعد بطراوة الريف التي بهايكسر رتابة الحاضر المديني، يعني النفاذ إلى كون حيوي حافل بمغامراته ومفاجآته، ومحكوم بسلسلة من الطقوسيات - ومن يتحدث عن الطقوسية يتحدث في الأوان ذاته عن الخرق . هذا الواقع، بجوانبه الأسطورية والفعلية، هضمه عقيل علي بصورة مكثفة وجرأة بالغة، حتى جاءت حساسيته الشعرية ، الفطرية أولاً ، لتوقفه على حدوده وفراغيته . فبدأ « السفر يطن في أذنه إشاعته الكبيرة » (عباس بيضون)، لكن ظروفاً شخصيةً وعامةً كانت تتضافر كل مرة لتبقي على الشاعر في أسار الأصل .

آنئذ لم يعد له سوى أن « يقبل» بفضاء المدينة ، قبراً مفتوحاً أو «فردوساً اصطناعياً » ينتظر ابتكاره كل لحظة . وهنا تتدخل المشبوبية الثقافية

الفائقة لعقيل . من أعداد مجلّة « شعر » ومصنّف علي الشوك الشهير في الدادائيّة ، الى الروايات المترجمة فكتب المتصوفة وسواها من المنتقيات الفريدة التي كان يذهب لينقّب عنها في بغداد أو يحصل عليها عن طريق مثقفي المدينة، وكان بين هؤلاء متكلّمون فريدون يمارسون نوعاً من الشعر الفوريّ والفلسفة الإرتجاليّة يتذكّره كلّ من شهد العراق الستّينيّ والسبعينيّ.

هذه المؤلّفات وسواها، التي لم نكن ، أنا وحفنة من الأصدقاء كانت تصغر عقيلاً بست سنوات أو سبع ، لنفقه منها آنذاك شيئاً ، كان عقيل يهضمها ضمن « منطقه » المتسارع نفسه، قابضاً ، وفي فجائية مدهشة، على لبّها وعصارتها .وكأنّه، لما كان خرج في البدء لقراءة العالم، لم يكن يجد في الكتب إلاّ تمحيصاً إضافياً لأشياء كان قد خبرها من قبل في صميم جسده ووعيه . جلّ ما كانت هذه الكتب تمدّه به هو « هيكل » لغويّ لرؤاه ونماذج راح بالنظر إليها يتفحّص إمكان صياغة تجربته .

وللمنطق التسارعي ذاته ندين بهذه العبورات للكتابة، هذا العدْو « الماراتوني » الرهيب الذي تمخّض في أقل من أربع سنوات عن « جنائن آدم » و« طائر آخر يتوارى » . أي عن شعرٍ لا نعتقد أنّ أحداً يتردّد اليوم عن إدراجه بين أصفى نماذج قصيدة النثر في العربية، شعر نثرٍ مسكون، كما لا تجد إلاّ لدى القلائل، بهاجس الإيقاع المحكم والمتنوّع، وبتضافر أواليّاتٍ لغويّة و« ذهنيّة » تجمع عملاً في الصورة والوصف والإستبطان والهذيان « العارف »

واستخدام الحلم والسخرية والدعابة والحنان الفريد، محكومة، جميعاً ، بهيمنة عالية يمنعها التجذّر النهائي في التجربة الفقيرة من أن تنقلب الى التغطرس .

« أيّتها الأبواب، متى يطرقك البحر ؟ »، كتب عقيل . وبالفعل، فما نقف إزاءه في هذه الأناشيد، الموجزة بحسمٍ تارة ، والمطوّلة باقتدارٍ طوراً، هو «تخبّطٌ » دامٍ ، لا ينقصه أحياناً الفرح النشوان، بين الأبواب - أبواب يمكن أن تكون أسوار مدينة بكاملها، المدينة وقد تحوّلت إلى جدارٍ طبيعي وبشري - والبحر الذي عبثاً حلم عقيل بارتياده، والذي يظل يشكّل مع ذلك « خطّ فرارٍ فعّالٍ » للشاعر . تجربة بالغة الفرادة في التّيه، تيه في الموضع - وهذا أفظع أغماطه - معبّر عنها في قولٍ شعري متمكّنٍ ، بفرادةٍ ، من « وسائله » . إنّه، مرّة أخرى، وإذا أمكن استعارة تعبير ستاروبنسكي بصدد كتابة روسو، « جدل الشفافيّة والعائق » .

إلى هذا ، لفت نظر نقّاد المجموعة السابقة هذا التعدّد للأصوات ، الحاضر أيضاً في المجموعة الحاليّة بقوّة.هناك أولاً أصوات الشاعر المنقلب غالباً على نفسه، مستولداً إيّاها، لدحر العزلة، أنا أخرى يتخذّها شاهداً على التياعاته، ذاهباً في محاورتها إلى حدود البوح الشفّاف، البالغ أقصى حدود البساطة عبر تجريدٍ متواصلٍ للتنكّرات. وهناك الآخر، وهنا أيضاً تبرز التعدديّة أو « البوليفونيّة». مرّة تتوجّه الى القصيدة إلى الحبيبة في سكونها الرهيب، ومرّة إلى الصديق المسافر تستجلي، من الـ«هنا »، ومن الـ«ماقبل»،خطوات تيهه وتشظّي

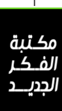
مسيرته.حنينَ فعّال.

ماجديد عقيل وأية مشاغل هي اليومَ مشاغله ؟ لا نحسب، لايمكن أن نحسب أنَ شاعراً توقَف بمثل هذه الصرامة عندَ « جنائن آدم »، التي هي بالأساس جنائن حرمانٍ، يمكن أن يحبس، باسم أيّ يأسٍ ؟، تصاعدَ ساعاتهِ الظامئة نحوَ رحابة القصيدة.

كاظم جهاد

باريس، آذار / مارس ١٩٩١

المحتـــــوى



بقلم : كاظم جهاد

« نحن أمام إيقاعٍ لاينحو إلى البساطة، بل إلى تركيبٍ وتعدّد مقاماتٍ ووتائر. »

عبّاس بيضون

« فرادته تكمن في شكل تمثّله لهذا الحس الفجائعيّ حيث يعمل على تحويله من الداخل ».

حسن الشامي

« إنّها تجربةٌ في الشعر مضاءةٌ ومضيئة »

بسّام حجّار

« غنائيّة في أكثر لحظاتها توتّراً ».

فوزي كريم

« لم يستهوه الضوء ولم ينخرط في مسالك النمط، بل بقي يغنّي وحيداً خارج المألوف ».

هاشم شفيق

« هيمنة شعريّة عالية يمنعها التجذّر النهائيّ في التجربة الفقيرة من أن تنقلب الى التغطرس . »

كاظم جهاد

« هذا الحدث المتمثل بصدور « جنائن آدم » لهو حدثٌ مُغبطٌ حقّاً ».

نوري الجرّاح

« يُتعبكَ عقيل علي ولايتعب. لايستكين. تظنّ أنّه سيستسلم في القصيدة التالية. لكنّ هذه القصيدة تُفاجئك بعُمقٍ آخر بلغَ إليه ببساطة مَن يتنزّه وباحتراق مَن اضطرمت في فؤاده كلّ جمور الدنيا. »

سليم عنتوري

رسم الغلاف : أحمد أمير